(المعتز بدينه الزرقاوي)

للشيخ حسين بن محمود (حفظه الله)

الحمد لله الذي أعز دينه برجال باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاته سبحانه، والصلاة والسلام على من جاهد بالسيف والحسام وخضعت له رقاب الأنام وعلى آله وصحبه الأطياب الكرام، أما بعد..

فها هي أرض الرافدين قد [illegible] ليس كالأمراء، ورجلا ليس كالرجال، أقض مضاجع [illegible]، وأرعب العالم في ساحات النزال، وأرهب الدنيا بعزته وشدته في الحق، لم يرض أن يعيش إلا حراً، فعاش عزيزا ومات مجيدا..

يذكرني رحيله -رحمه الله- باستشهاد أسد الله الحمزة رضي الله عنه، فالعدو جَبُنَ أن يقترب منه في المعركة، فكانت رمية بحربة من بعيد.. العدو الأمريكي وجنود الكفر قاطبة جبنوا أن يقتربوا منه، وحين علموا مكانه، ومن مصلحتهم القبض عليه حياً أو ميتاً، لم يكن بأس وشدة الأمير كان همهم الأوحد وهدفهم الذي [illegible] فقذفوا عليه الحمم من السماء.. والعجيب أنهم [illegible] البيوت المتواضعة بالأرض وأيقنوا أنه لم يكن في [illegible]، أجروا عمليات إنزال من السماء وكأنهم جبنوا حتى عن المشي على الأرض التي سجي عليها الأسد الضرغام، فلله دره من إهابي حيا وميتا..

هذه هي ميتة الرجال، ميتة قادة الأمة الذين علا صوت حقهم في الأرض فكان رحيلهم من الدنيا أشد دويا، هي ذات ميتة الشيخ المجدد عبد الله عزام، وهي ميتة شيخ

المجاهدين أحمد ياسين، وهي ميتة القائـد الفـذ زليـم خـان الشيشاني، إنهـا ميتـة الأحيـاء {وَلَا تَقُولُـوا لِمَـنْ يُقْتَـلُ فِـي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْـوَاتٌ بَـلْ أَحْيَـاءٌ وَلَكِـنْ لَا تَشْـعُرُونَ} [البقـرة: 154]، {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتًـا بَـلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:169]..

إن كنا حزنا على مقتل أميرنا رحمه الله، فإنا نسأل اللـه أن يجعله من الفرحين المستبشرين {فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَـاهُمُ اللَّـهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَـةٍ مِـنَ اللَّـهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمـران:169-171]..

لقد أعطى أميرنا للرجولة حقها من الفقه، فنسـأل اللـه جل في علاه أن يكون ممن استوفى أجره، فقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم "مـا مـن غازيـة أو سـرية تغـزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قـد تعجلـوا ثلثي أجـورهم، ومـا مـن غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم" (مسلم)..

ما علمنا تأخره عن صف ولا كان ممن يرضى بالسياقة، فقد كان مقداما شجاعا أقرب القـوم إلى العـدو وأشـدهم فيـه نكاية، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم "أفضل الشـهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتـون وجـوههم حـتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، ويضـحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في مـوطن فلا حسـاب عليه" (أحمد بسند صحيح 1118 - صحيح الجـامع)، نسـأل الله أن يضحك إليك يا أبا مصعب..

ما عرفنا معنى كلام ربنا جـل فـي علاه {فَـإِذا لَقِيتُـمُ الَّـذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّـى إِذَا أَثْخَنْتُمُـوهُمْ فَشُـدُّوا الْوَثَـاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَـا} [محمـد: 5] إلا عندما رأيناه وإخوانه يجزون رؤوس الكفار بأسيافهم في زمن الصواريخ عابرة القارات..

تالله ما علم امروء لولاكم.....كيف السخاء وكيف ضرب الهام

كانت همته -رحمه الله- لا تقبل بالقليل والرجال حوله يقتسمون أجورهم ويعدّون لأنفسهم منازل في عالي الجنان، فأخذ على نفسه أن لا يكون أقل القوم شأنا ولا أدناهم منزلة ".. فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم ويدخلكم الجنة؟ اُغْزُوا في سبيل اللَّه، من قاتل في سبيل اللّه فواق ناقة وجبت له الجنة" (الترمذي: وقال حديث حسن)، قالَ صلى الله عليه وسلم لأم حارثة بن النعمان، وقد قُتل ابنها معه يوم بدر، فسألته: كيف هو؟ قال: "إنه في الفردوس الأعلى" (البخاري)، فهنأه الزرقاوي جاراً لحارثة بن النعمان في الجنة..

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم "يا رَسُول اللَّهِ دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: لا أجده، ثم قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ فقال: ومن يستطيع ذلك"! (البخاري)، فلمثل هذا خرج يبحث في أسواق المنايا في الثغور "من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللّه يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانه.." (مسلم)

لا يمنعُ الضيمَ إلا ماجدٌ بطلٌ... إن الكريم كريمٌ حيثما كانا

ما ضره قصفهم ولا آلمته صواريخهم ولا آذته قنابلهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة" (الترمذي

وقال: حديث حسن صحيح)، نسأل الله أن يتقبله في الشهداء..

ما علمنا فضل هذا الرجل ولا مقامه الحقيقي إلا عندما شاهدنا الكفار والمرتدين والمنافقين يرقصون طربا وقد تنفسوا الصعداء لتيقنهم من موته، عندها عرفنا كم كان – رحمه الله– يُرهبهم ويُفزعهم، وكم كانوا يخافون منه ويوجسون منه خيفة ويحسبون له ألف حساب!!

نعم، اليوم يرقص الصليبيون.. اليوم يرقص المرتدون.. اليوم يرقص الروافض والمنافقون.. اليوم يرقصون طربا ونشوة كل من يبغض الإسلام وأهله، فقد غاب عن ساح الجهاد الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين.. اليوم يرقص ويغني كل من كتم الزرقاوي أنفاسه وقطع رقبته وسلبه سهاده.. اليوم ينام بوش وبليير وبلير والجلبرية وعبدهم السستاني وعبيده في حكومة المنطقة الخضراء..

أو كذا يظنون..

إن الإسلام دين الله في الأرض، وهذا المنة العظيمة والنعمة الجليلة قدّر الله أن تبقى في حثالات أشراف الناس لشرف الرسالة، وقضى سبحانه أن يُعز الدين بأعز عباده، وسنته أن يسقى هذا الدين بدماء الأتقياء من أهل الصفاء والنقاء فلا يجاهد ويقاتل ويقتل في سبيله إلا المؤمنون، أما أهل النفاق والردة والفجور فدمائهم فاسدة تُفسد ثمرة الإيمان فلا يلهم الله أبدا الجهاد حتى لا تقترب دمائهم النتنة من شجرة الحق الطاهرة..

إنها نفس واحدة، وجسد واحد في مسيرة الإسلام الخالدة، وكم من أجساد طاهرة وأشلاء نقية ودماء زكية بُذلت ليبقى هذا الدين واقعا في الأرض يعلوا بحقه على باطل الخلق، والشرف كل الشرف أن يكون دم الإنسان نقطة في نهر الإيمان الذي يسقي غرس الرحمن..

هل خسر الرجل شيئا بموته!!

جـوابه مـا قـالت شـقيقته، وحـق لمثلهـا أن تكـون شـقيقة الرجال، فقد قالت حفظها الله "إن كان قُتـل فقـد لقـي مـا تمنى".. الله أكبر.. رجل تمنى المـوت فلقيـه.. الحمـد للـه الذي تفضل على أميرنا بما تمنى..

هل تعطل الجهاد في العراق بموته!!

لقد تعلم المجاهدون بأن الجهـاد لا يتعلـق بالأشـخاص، وقـد أيقنوا هذا القول ربما على علاته {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَـتْ مِـنْ قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَـإِنْ مَـاتَ أَوْ قُتِـلَ انْقَلَبْـتُمْ عَلَـى أَعْقَـابِكُمْ وَمَـنْ يَنْقَلِـبْ عَلَـى عَقِبَيْـهِ فَلَـنْ يَضُـرَّ اللـهَ شَـيْئًا وَسَـيَجْزِي اللـهُ الشَّـاكِرِينَ} [آل عمران: 144]، والمعـتز بدينه الزرقـاوي جنـدي مـن جنـود محمـد صلى اللـه عليـه وسلم، فإذا كـان الجهـاد لـم يتعطـل بمـوت القائـد الأعلـى للمسلمين، فكيف يتعطل بموت جندي من الجنود!!

هل خسر المسلمون قوّتهم بموته!!

نعم، لقد خسروا قيادة فذة، وهزيمة صـلبة، ولكـن الرجـال في الأمة كثير، فقد مات الشيخ عـ وخـرج بعـدة أسـامة، وغاب قادة المجاهدين عـ ـاحـ جهـاد فـي أفغانسـتان فخلفهـم الطلبـة، ومـات الأميـر ـ الإسـلام "خطـاب" رحمـه اللـه فخـرج بعـده "الغامـ ـم قُتـل وخـرج فـي الشيشان غيره..

إنها "مؤتة"، والتاريخ يعيـد نفسـه، فلمـا مـات زيـد وجعفـر وابن رواحة -رضي الله عنهم أجمعين- التقـط الرايـة رجـل لم يكن بأفضـلهم فانحـاز بالمسـلمين فصـار "سـيف اللـه" أعاد الكرة علـى الكـافرين.. إنهـا أمـة وَلـود لـم تعقـم فـي تاريخها الطويل، فما زالت النساء ينجبن الرجال، ولم تعقـم

النساء أن يلدن مثل الزرقاوي رحمه الله، ولعل في العراق سيف لله في غمده لم يُستلّ بعـد.. والمتأمـل فـي تاريخنـا الحديث يرى أنه كلما مات قائد للمسلمين يـأتي بعـده مـن هو أشد منه نكاية وأعظم بطشا وإرهابا للعدو، فالحمد للــه الذي له الخيرة في الأمر كله سبحانه..

إنها أيام، وإنها دول، والحرب سجال، والقوم ما عرفوا الجد إلا بعــد أن أذاقهــم المجاهــدون المنــون، ولإن قتلــوا أبــا مصعب، فكم قتل هو منهم!! ولإن أنهوا وجوده من العراق، فكم ترك لهم خلفه من الرجال الذين يتحرقون شوقا لميتة كميتته!!

إن الأمير الزرقـاوي لـم يكـن رجـلا مـن الأيـام شخصـا واحداً، بل هو جبهـة متكاملـة لا تبقـي ولا تـذر، عليهـا بقتـل بضعة رجال.. إنه كيـان متكامـل متـراص مـترابط بعقيـدة وعزيمة وقوة لا يمكن تفكيكها وخلعها بالقنابل، وهـذا مـا لا يفهمه من لم تخالج العقيدة قلبه، ولم يتغلغل الإيمـان فـي شغاف نفسه..

لإن قتلوه فإنه ترك خلفـه مـن بعـده وجـوههم مـن ليـوث كرهـوا الحيـاة وأحبـوا لقـاء اللـه، وقـد علّمهـم الزرقـاوي احتضــان المــوت بصــدر رحــب، والهجــوم علــى العــدى كالشّهب، فهم بين مقدمين في جرأة، ومفجر فيهم نفسه، ومنعطف عليهم بأسلحة ما كان حال جدهم يقول:

أمشي الضَّرَاءَ لأقوام أحاربهم... حتى إذا ظَهَرتْ لي منهم الفُقَرُ (1)
جمعتُ ضَبْراً جراميزي بداهيةٍ... مثل المنيّة لا تُبقي ولا تذَرُ (2)

[(1) الضـراء: الخفيـة، والفُقـر: والجـوانب والقـرب.. (2) الضَّبر: جمع القوائم والوثب، الجراميز: القوائم]

إن موت الأمير الزرقاوي درس للمسلمين يجب أن يعوه، فالقيادة ليست خالدة، ومصير الأمة ليس في يد رجل كائنا من كان، ومن كان يعبد الرجال فإن الرجال يموتون.. الله وحده الحي الباقي سبحانه، ومصير الأمة والكون في يده سبحانه، وإن كان الله معنا فلن نضيع، والمطلوب منا أن ندعوه أن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين، وأن نؤمن بأنه هو يفعل ويختار لنا ما يشاء سبحانه وما يختاره هو الأفضل والأصلح لنا، فإذا اختار بقاء القادة فله الحمد والمنة، وإذا اختار قبضهم فله الحمد والمنة، {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص 68]، فعلى المؤمن أن يرضى بقدر الله ويسلّم أمره لله ولا يسخط ولا يعترض على أمر الله وتدبيره الحكيم..

إن الحق لا بد ظاهر، وأهل الحق هم المنصورون لأن الحقَّ وعَدَ ووعده الحق، وهو ناصر عباده متمٌّ نوره ولو كره الكافرون {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}..

أقول لجميع المجاهدين وجميع شباب الأمة الغيورين على الدين: إننا أمة لا تعرف الحداد، ولكن الجهاد الجهاد..

اللهم ارحم أبي مصعب بدخانك في الشهداء.. اللهم اجعل روحه في حواصل طير خضر معلقة تحت عرشك سبحانك.. اللهم اغفر له وأجعله ممن يرى مقعده من الجنة، وحلّه بحلية الإيمان، وأجره من عذاب القبر ومن الفزع الأكبر، وزوجه باثنتين وسبعين من الحور العين، وألبسه اللهم تاج الوقار، وشفعه في أهله..

اللهم اكرم نزله، ووسع مدخله، وتقبله في الشهداء.. اللهم إنا نشهد له بالخير شهادة نلقاك بها فتقبل شهادتنا.. اللهم باعد بينه وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب، ونقه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس،

واغسله بالماء والثلـج والـبرَد. اللهـم اجعلـه مـع الصـديقين والشهداء والصالحين وألحقنا بهم..

اللهم تقبله شهيداً..
اللهم تقبله شهيداً..
اللهم تقبله شهيداً..

والله أعلم.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلـه وصـحبه وسلم..

كتبه:
حسين بن محمود

12 جمادى الأولى 1427 هـ
8-6-2006 م